

## (٩٠) سورة البلد

### في رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة نزلت بمكة المكرمة بعد سورة "ق" آياتها عشرون، وأهدافها نفس أهداف السور المكية من تثبيت العقيدة والإيمان والتركيز على الإيمان بالحساب والجزاء، ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالبلد الحرام الذي هو مسكن النبي ﷺ تعظيماً لشأنه وتكريماً لمقامه الرفيع، ثم تحدثت عن بعض كفار مكة الذين اغتروا بقوتهم، فعادوا الحق وكذبوا رسول الله ﷺ وأنفقوا أموالهم في التباهي والتفاخر ظناً منهم أن إنفاق الأموال يدفع عنهم عذاب الله، ثم تناولت أهوال القيامة وشدائدها، وما يكون بين يدي الإنسان في الآخرة من مصاعب وعقوبات لا يستطيع أن يقطعها ويجتازها إلا بالإيمان والعمل الصالح، ثم ختمت السورة الكريمة بالتفريق بين المؤمنين والكافرين في ذلك اليوم العصيب وبينت حال السعداء ومصير الأشقياء.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدِ وَمَا وُلِدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾  
أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهِ أَهَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ  
لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا  
الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ اطَّعُنْ فِي يَوْمٍ مَرْدِيٍّ مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾  
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْإِيمَانِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾

### معاني المفردات:

لا أقسم: أقسم ولا مزيدة بهذا البلد: مكة المكرمة

حلُّ بهذا البلد: حلال لك ما تصنع به يومئذ

كبد: نصب ومشقة أو مكابدة مالا لبدا: كثير

النجدين: الطريقين طريق الخير وطريق الشر

فلا اقتحم العقبة: جاهد نفسه فى الطاعات

فك رقبة: تخلصها من الرق بالإعتاق

مسغبة: مجاعة مقربة: قرابة فى النسب

متربة: فاقة شديدة المشامة: الشؤم

نار مؤصدة: مغلقة أبوابها

### التفسير:

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يقسم الله عز وجل بالبلد الحرام مكة المكرمة، التى شرفها الله تعالى بالبيت العتيق \_ قبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ومهبط الرحمات قال فى التسهيل: أراد بالبلد "مكة" باتفاق وأقسم بها تشريفا لها<sup>(١)</sup> ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أى وأنت يا محمد ساكن ومقيم فى مكة بلد الله الأمين قال البيضاوى: "قسم بالبلد الحرام وقيده بحلولة عليه الصلاة والسلام فيه - أى إقامته فيه - إظهارا لمزيد من فضله وإشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله"<sup>(٢)</sup> ﴿وَوَاللَّهُ وَمَا وُلِدَ﴾ أى وأقسم بآدم وذريته الصالحين، قال الخازن: أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها، وبآدم وذريته الصالحين، لأن الكافر \_ وإن كان من ذريته \_ لا حرمة له حتى يقسم به<sup>(٣)</sup> ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ هذا هو المقسم عليه أى لقد خلقنا الإنسان فى تعب ومشقة، فإنه لا يزال يقاسى أنواع الشدائد، من وقت نفخ الروح فيه إلى حين نزعها منه، قال أبو السعود: والآية تسلية لرسول الله ﷺ بما كان يكابده من كفار مكة<sup>(٤)</sup> ﴿أَلَمْحَسِبْ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يخبر الله عز وجل عن طبيعة الإنسان الجاحد بقدرة الله والمكذب للبعث والنشور أى أیظن هذا الشقى المغتر بقوته أن الله

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١٩٩/٤.

(٢) البيضاوى ٦٦٠/٣.

(٣) تفسير الخازن ٢٤٨/٤.

(٤) تفسير أبى السعود ٢٦٥/٥.

تعالى لا يقدر عليه لشدته وقوته؟ قال المفسرون: نزلت في "أبي الأشد بن كلده"<sup>(١)</sup> كان شديدا مغترا بقوته ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَأُتَبَدَّ﴾ أى أنفقت مالا كثيرا فى عداوة محمد ﷺ قال الألوسى: يقول ذلك فخرا ومباهاة على المؤمنين، وأراد بذلك ما أنفقه رياء وسمعة وعبر عن الإنفاق بالإهلاك، إظهارا لعدم الاكتراث وإظهارا لشدة عداوته لرسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> ﴿أُحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أى أيعظن أن الله تعالى لم يره حين كان ينفق ويظن أن أعماله تخفى على ربِّ العباد؟ ليس الأمر كما يظن بل إنَّ الله تعالى رقيب مطلع عليه سيحاسبه على ذلك يوم القيامة ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿١﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٢﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أى ألم نجعل له عينين يبصر بهما؟ ولسانا ينطق به؟ وشفتين يطبقهما على فمه ويستعين بهما على الأكل والشرب؟ وبيننا له طريقى الخير والشر، والهدى والضلال ليسلك بها طريق السعادة ويتجنب طريق الشقاوة. ﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ﴾ أى فهلا أنفق ماله فى اجتياز العقبة الكئود بدلا من أن ينفق ماله فى عداوة رسول الله ﷺ، قال فى البحر المحيط: والعقبة استعارة للعمل الشاق على النفس تشبيها له بعقبة الجبل وهو ما صعب منه وقت الصعود ومعنى اقتحمها دخلها بسرعة وشدة<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَا أَذْرُوكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أى وما أعلمك يا محمد ما اقتحام العقبة؟ وفيه تهويل لشأنها ثم فسرها سبحانه وتعالى بقوله: هى ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أى عتق الرقبة من الرِّق فى سبيل الله وتخليص صاحبها من الأسر والرِّق ﴿أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَتَقَبَةٍ﴾ أو إطعام للفقير فى يوم عصيب ذى مجاعة شديدة، قال الصاوى: وقيد الإطعام بيوم المجاعة لأن إخراج المال فيه أشدُّ على النفس<sup>(٤)</sup> ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أى إطعام الطعام لليتيم الذى بينه وبينه قرابة أو المسكين الفقير البائس الذى قد لصق بالتراب من فقره وضُرِّه وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس، ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أى عمل هذه القربات لوجه الله تعالى، وكان مع ذلك

(١) صفة التفسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٧٢٧.

(٢) الألوسى ١٣٦/٣٠.

(٣) تفسير البحر ٤٧٦/٨.

(٤) حاشية الصاوى على الجلالين ٣٢٢/٤.

مؤمنا صادق الإيمان ، ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴾ أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان وطاعة الرحمن، وبالرحمة والشفقة على الضعفاء والمساكين، ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الَّتِيْمَةِ ﴾ أى إن هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الحسنة هم أصحاب الجنة الذين يأخذون كتبهم بيمينهم ويسعدون بدخول جنات النعيم ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْجَمَةِ ﴾ قارن الله عز وجل بين الأبرار والفجار على طريقة القرآن الكريم فى الترغيب والترهيب، لبيان المفارقة الهائلة بين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشرار، أى والذين جحدوا بنبوة محمد ﷺ وكذبوا بالقرآن الكريم هم أهل الشمال \_ أهل النار \_ لأنهم يأخذون كتبهم بشمالهم، ﴿ عَلَتْهُمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ أى عليهم نار مطبقة عليهم مغلقة، لا يدخل فيها روح ولا ريحان، ولا يخرجون منها أبد الزمان، اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك يا رب العالمين وأكرم الأكرمين<sup>(١)</sup>.

### الإعراب:

لا مزيدة لتأكيد القسم، أقسم مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا يعود على الله عز وجل بهذا جار ومجرور متعلقان باقسم البلد بدل مجرور.	لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ
الواو حالية أنت ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، حل خبر مرفوع بالضممة الظاهرة والجملة فى محل نصب حال، بهذا البلد سبق أعرابها.	وَأَنْتَ جِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ
عطف على القسم السابق والمراد بالوالد هو آدم عليه السلام كما سبق فى التفسير وما ولد المراد به الصالحون من ذرية آدم وما اسم موصول بمعنى الذى وجملة ولد جملة الصلة لا محل لها من الإعراب.	وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ
الجملة جواب القسم، اللام واقعة فى الجواب قد حرف تحقيق	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

(١) صفة التفسير للأستاذ محمد على الصابوني ص ١٧٢٨.

<p>مبنى على السكون، خلقنا فعل ماضى مبنى ونا الفاعلين فى محل رفع فاعل الإنسان مفعول به منصوب، فى كبد جار ومجرور متعلقان بمحذوف فى محل نصب حال.</p>	<p>فى كَبِدٍ</p>
<p>الهمزة للاستفهام الإنكارى، يحسب مضارع مرفوع والفاعل مستتر يعود على الإنسان، أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن لن حرف نفى ونصب واستقبال يقدر مضارع منصوب، بلن، عليه جار ومجرور متعلقان بيقدر، أحد فاعل ليقدر.</p>	<p>أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ</p>
<p>الجملة حالية أو استثنائية، يقول مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو أهلكت فعل ماضى مبنى والتاء تاء الفاعل مالا فى محل نصب مقول القول لبدانعت منصوب.</p>	<p>يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا</p>
<p>الهمزة للاستفهام الإنكارى، يحسب مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو أن مخففة من الثقيلة، لم حرف نفى وجزم علامة جزمه حذف حرف العلة والهاء ضمير مبنى فى محل نصب مفعول به مقدم، أحد فاعل مؤخر.</p>	<p>أَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ</p>
<p>الهمزة للاستفهام التقريرى، لم حرف نفى وجزم، نجعل مضارع مجزوم والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل، له جار ومجرور متعلقان بنجعل عينين مفعول به منصوب بالياء ولسانا معطوف منصوب، شفتين معطوف منصوب بالياء وهديناه فعل وفاعل ومفعول والجملة معطوفة على نجعل، النجدين مفعول به ثان منصوب بالياء.</p>	<p>أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ وَلِسَانًا ۖ وَشَفَتَيْنِ ۖ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ</p>
<p>الفاء عاطفة، لا نافية اقتحم فعل ماضى مبنى والفاعل ضمير مستتر تقديره هو العقبة مفعول به وما الواو اعتراضية، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ وجملة أدراك هى الخبر فى محل رفع ما استفهام فى محل رفع خبره العقبة مرفوع والجملة الاسمية المعلقة بالاستفهام فى محل نصب سدت مسد مفعول أدراك الثانى.</p>	<p>فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ ۖ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْعَقَبَةُ</p>

<p>فك رقة خبر لمبتدأ مضمرة أى هو فك رقة والتقدير ما هو اقتحام العقبة هو فك رقة أو حرف عطف مبنى على السكون إطفام معطوف مرفوع على فك، وقرئ فك رقة فك فعل ماض وفاعله مستتر ورقة مفعول به منصوب والجملة الفعلية عندئذ بدل من قوله اقتحم العقبة المنفى بلا فكأنه قيل فلا فك رقة ولا إطفام فى يوم جار ومجرور متعلقان بإطفام ذى نعت ليوم مجرور بالياء، مسغبة مضاف إليه بينما مفعول الاطفام استوفى شروط النصب على أنه مصدر ذا مقربة نعت لتيما وذا مترية نعت لمسكينا.</p>	<p>فَكَ رَقَبَةٌ ﴿٦٠﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْفَبَةٍ ﴿٦١﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿٦٢﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ</p>
<p>ثم حرف عطف مبنى يفيد التراخى، كان فعل ماض مبنى واسمها ضمير مستتر من الذين خبر شبه جملة فى محل رفع وجملة آمنوا صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وتواصوا عطف على جملة الصلة داخل فى حيزها وبالصبر جار ومجرور متعلقان بتواصوا، وتواصوا بالمرحمة عطف أيضا.</p>	<p>ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ</p>
<p>أولئك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، وأصحاب خبر والميمنة مضاف إليه مجرور والذين اسم موصول مبنى فى محل رفع مبتدأ وجملة كفروا صلة الموصول، بآياتنا جار ومجرور متعلقان بكفروا، وهم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ أصحاب خبر مرفوع المشتمة مضاف إليه، عليهم جار، ومجرور فى محل رفع خبر مقدم ونار مبتدأ مؤخر، مؤصدة نعت لنار والجملة خبر ثان ولك أن تجعلها استثنائية<sup>(١)</sup>.</p>	<p>أُولَئِكَ أَصْحَابُ الَّذِينَ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٦٤﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ</p>

### من ألوان البلاغة

- لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من صور البيان والبديع نذكر منها:
- الاستعارة فى قوله "وهديناه النجدين" أى طريق الخير والشر وأصل النجد الطريق المرتفع فاستعير كل منهما لسلوك طريق السعادة وسلوك طريق الشقاء.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لحى الدين الدرويش المجلد العاشر ص ٤٩٠.

- كذلك الاستعارة فى قوله "فلا اقتحم العقبة" لأن أصل العقبة الطريق الوعر فى الجبل واستعيرت هنا للأعمال تصعب وتشق على النفوس ففیه استعارة بديعة.
  - الجناس فى قوله "ووالد وما ولد" جناس اشتقاق فكل من الوالد والولد مشتق من الولادة وكذلك الجناس الناقص فى قوله "مقربة متربة".
  - الاستفهام الإنكارى فى قوله "أيحسب أن لن يقدر عليه أحد" ومثله "أيحسب أن لم يراه أحد" والمراد بها التوبيخ كذلك الاستفهام فى قوله "وما أدراك ما العقبة" والغرض منها التهويل والتعظيم.
  - فى قوله تعالى "لا أقسم بهذا البلد" فلا هنا لتأكيد الكلام بمعنى أقسم.
  - المقابلة اللطيفة بين قوله تعالى "أولئك أصحاب اليمينه" وقوله تعالى "هم أصحاب المشأمة".
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة بأكملها.

